الدولة الأيوبية
من النشأة حتى نهاية عهدها
(٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م)

The Ayyubid state from its inception until the end of its era

(567-648 AH / 1171-1250 AD)

م. هالة عبد الكريم عبود السامرائي

M .Hala Abdul Karim Abboud Al-Samarrai

الملخص

قامت الدولة الأيوبية في عصر مَلْئاً بالصرعات الداخلية والمتمثلة في القوى المختلفة التي كانت تحكم المجتمع العربي والمتحاربة فيما بينها فأضاعت وحدتها بعد أَنْ أصابها الضعف والتشتت من جهة والحروب الصليبية من جهة أُخرى، فكان للدولة الأيوبية دور جهادي فاعل في تكوين دولة موحدة مترامية الأَطراف ثم محاربة الوجود الصليبي في الأَراضي العربية وتصديها المستمر من سلاطينها للحملات الصليبية وإحباط مخططاتهم طيلة فترة حكمها بدءا من السلطان صلاح الدين مؤسس الدولة وانتهاء بالسلطان تورا نشاه بن الصالح نجم الدين أيوب.

Abstract:

The Ayyubid state rouse in an era filled with internal conflicts between various forces that ruled the Arab society and were at war with each other. As a result, it lost its unity due to the weakness and disperses on the one hand and the Crusades on the other hand. The Ayyubid state had an active jihadi role in the formation of a unified state with sprawling sides, and fighting the Crusader presence in the Arab lands with sultans' continuous response to the Crusades and thwarting their plans throughout the period of its rule, starting with Sultan Salah Al-Din, the founder of the state, and ending with Sultan Tora, Nashah bin Al-Salih Najm Al-Din Ayyub.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ وصحبه أجمعين.

إنّ الدولة الأيوبية هي وليدة أحداث عصرها المتأزم وهو عصر الصراعات الداخلية من جهة والحروب الصليبية من جهة ثانية، إذ قامت هذهِ الدولة بدور جهادي فاعل طيلة فترة حكمها بدءاً من صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) وانتهاء بوفاة آخر سلطان أيوبي وهو توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب سنة(٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، وكان ظهور هذهِ الدولة على مسرح الأحداث إنما هو ردة فعل لما كان عليه المسلمون من فرقة ولما حدث في زمانها من الاحتلال الصليبي للأراضي العربية وعلى رأسها القدس الشريف فضلاً عن الهجمات المتكررة على بلاد الشام ومصر والحجاز من الصليبيين، لذلك جاء دور الدولة الأيوبية في محاربة الوجود الصليبي وتصديها المستمر من سلاطينها للحملات الصليبية، وبالرغم مما حدث من المؤامرات والحروب بين أمراء الأسرة الأيوبية لاسيّما بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي وذلك من أَجل الاستئثار بالنصيب الأكبر من حكم أراضي الدولة الأيوبية، إلا أَنَّ ذلك لم يُضْعفْ سلاطينها عن مواجهة الصليبيين و إحباط مخططاتهم وتصديهم لحملاتهم.

ولذا فإن وفرة المصادر العديدة التي أغنت هذا البحث اعطت القدرة لعمل خطوات متسلسلة ومختصرة لإيضاح العوامل التي تبلورت وساعدت على قيام الدولة الأيوبية ونهايتها، لذلك تمّ تقسيم البحث إلى أربعة مباحث، فالمبحث الأول عن أحوال المشرق العربي قبيل الدولة الأيوبية، والمبحث الثاني العوامل التي ساعدت على قيام الدولة الأيوبية، أما المبحث الثالث، فجاء عن مراحل تأسيس الدولة الأيوبية، والمبحث الرابع تم التطرق فيه إلى أحوال الأيوبيين بعد صلاح الدين.

المبحث الأول

أحوال المشرق العربي قبل قيام الدولة الأيوبية

لقد عانى المشرق العربي الإسلامي من مجموعة من الأحداث الكثيرة والبالغة التعقيد وتحديداً في أواخر القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) والمتمثلة في القوى المختلفة التي كانت تحكم المجتمع العربي والمتحاربة فيما بينها، وكثيراً ما كان الصراع سمة هذا التناقض من أجل الحصول على السلطة، والبقاء والسيطرة على البلاد، وبذلكَ ضياع وحدة الأمة الاسلامية التي أصيبت بالضعف والوهن والتشتت [١]، مما أتاحت هذهِ الظروف الفرصة للصليبيين في أن يتغلغلوا في قلب أراضي المسلمين وذلك عندما توجهوا في حملتهم الأولى وتمكنهم من احتلال بيت المقدس سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) عندما اجتاحوا الديار وعملوا بالناس قتلاً ونهباً وتخريب وتشريد[٢]، فالخلافة الفاطمية[٣] في مصر كانت تمرُّ في مرحلة خريف العمر لاسيَّما في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) [٤]، وقد عرفت بخلافها المستديم مع الخلافة العباسية في بغداد والتي لم تكن أحوالها بأحسن حالٍ من نظيرتها في مصر، فالخليفة العباسي ليس لهُ من السلطة الفعلية شيء سوى الاسم وذلك بسبب سيطرة السلاجقة [٥] الأتراك على الحكم المنقسمين على أنفسهم، مما أدى إلى ظهور عدد كبير من البيوتات السلجوقية الحاكمة والمتصارعة خاصة في بلاد الشام والعراق[٦].

ونتيجة إلى هذا الضعف والانقسام في سلطة السلاجقة برزت مجموعة من الوحدات السياسية والتي تسمى بالأتابكيات[٧]، بعضها ينماز بمساحات كبيرة ،وبعضهم الآخر لا يتعدى حدودها أسوار مدينة أو قلعة واحدة [٨] .

وأكبر الأتابكيات وأشهرها أتابكية دمشق (الدولة البورية) التي أسسها ظهير الدين طغتكين[٩]، واستمرت (٥٢) سنة من سنة (٤٩٧ـ ٥٤٩هـ/ ١١٠٤ـ ١١٥٤م) أما الأخرى فهي أتابكية الموصل (الدولة الزنكية) التي أسسها عماد الدين زنكي[١٠] وهي أطول الأتابكيات عمراً إذ استمرت (١٣٤) سنة من سنة (٥٢١ـ ٦٦٠هـ/ ١١٢٧ـ ١٢٦١م)، إلى أن قضى عليها المغول بقيادة هولاكو[١١].

وترجع الجذور الأولى في تزعم حركة الجهاد ضد الصليبيين إلى عماد الدين زنكي [١٢]، بعد أن عمل جاهداً على توحيد الجبهة الإسلامية في الشرق الإسلامي فسيطر على أكثر مدن الجزيرة الفراتية[١٣] الواحدة تلو الأخرى، ولهُ الفضل في انتزاع أمارة الرُها من أيدي الصليبيين سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م)[١٤] فأمتد سلطانهُ من

شمال العراق إلى شمال الشام[١٥] .

وبعد اغتياله سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م)[١٦] اقتسم ولداه حكم الدولة الزنكية، فحصل ابنهُ الأكبر سيف الدين غازي على أتابكية الموصل، في حين حصل ابنه الأصغر نور الدين محمود على أتابكية حلب[١٧].

حمل نور الدين الأمانة عن أبيه إذ قطع مرحلة متقدمة لتوحيد الجبهة العربية الإسلامية فامتدت من الفرات إلى النيل[١٨]، فأسس قوة وقفت صامدة في وجه الخطر الصليبي، إذ أفشل الحملة الصليبية الثانية سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) [١٩]، وأسس أتابكية الشام زعيمة الجهاد ضد الصليبيين [٢٠] بعد أن قضى على أتابكية دمشق البورية سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م)[٢١].

المبحث الثاني

العوامل التي ساعدت على قيام الدولة الأيوبية

منذُ منتصف القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) توجهت أنظار نور الدين محمود نحو مصر في الوقت الذي توجهت فيه أنظار مملكة بين المقدس بقيادة عموري الأول نحو مصر أيضا[٢٢]، وقد سعت القوتان المتنازعتان على مصر إلى تحقيق المكاسب الاقتصادية والبشرية، زيادة على ذلك كان نور الدين محمود يسعى إلى تحقيق الوحدة بين بلاد الشام ومصر ليؤسس جبهة قوية تنطلق بقوة المال والرجال لمحاربة الإفرنج واسترداد بيت المقدس[٢٣]، وهو الأمر الذي تخوف منهُ عموري الأول ملك بيت المقدس عندما شاور فرسان الإفرنج بقصد تملكه لمصر فقال : ((وإن أخذها ـ أي نور الدين ـ وصار لهُ فيها مثل أسد الدين فهو هلاك الإفرنج وإجلائهم من أرض الشام))[٢٤]، في الوقت نفسه كانت الخلافة الفاطمية تتأرجح معلنة عن نهاية عهدها لاسيَّما بعد أن فقدت الخلافة هيبتها، وتحكم الوزراء في شؤون الدولة وصراعهم على السلطة فضلاً عن اضطراب أحوال مصر الداخلية، وجاءت اللحظة الحاسمة عندما استنجد الوزير الفاطمي شاور بنور الدين محمود بالشام وأطمعهُ في الديار المصرية لانقاذهم من الصليبيين سنة (٥٥٨هـ/١١٦٣م)[٢٥] فانكشفت مواطن الضعف لدى الدولة الفاطمية وأصبح الطريق مفتوحاً لتدخل القوى الإسلامية والصليبية المجاورة للسيطرة على مصر[٢٦]، وكان الصراع الإسلامي الصليبي إيذاناً بسقوط الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية بزعامة صلاح الدين الأيوبي[٢٧] الذي صحب عمه أسد الدين شيركوه[٢٨] قائد القوات الإسلامية في جميع حملاته بأمرٍ من نور الدين محمود ابتداء من عام (٥٥٩هـ/١١٦٤م) وانتهاء بعام (٥٦٤هـ/١١٦٩م) ،إذ تملك شيركوه مصر واستولى عليها[٢٩]، بعد أن تغلبت قواتهِ على الصليبيين في مصر[٣٠]، الذين انسحبوا إلى فلسطين خائبين مما أملوه[٣١]، في حين تسلم أسد الدين شيركوه الوزارة في مصر[٣٢]، بخلعة من الخليفة الفاطمي العاضد[٣٣]، وتلك كانت البداية لقيام الدولة الأيوبية[٣٤].

المبحث الثالث

مراحل تأسيس الدولة الأيوبية

إن الدولة الأيوبية لم تقم بين ليلة وضحاها إنما مرت بعدة مراحل انتقالية حتى تمَّ لها التثبيت والتوسع، وهذه المراحل هي :

- **المرحلة الأولى :**

بعد وفاة أسد الدين شيركوه الذي تولى وزارة مصر مدة خمسة وستين يوماً[٣٥] خلفهُ ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي[٣٦] عليها بأمرٍ من الخليفة العاضد الفاطمي سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م)[٣٧]، ولقبهُ بالملك الناصر[٣٨] فضلاً عن أنهُ كان نائباً عن نور الدين إذ كان ينُفذ تعليماتهِ وقائداً لقواتهِ في مصر[٣٩].

- **المرحلة الثانية :**

بعد مرور ثلاث سنوات من تولية صلاح الدين الوزارة أخذ يعمل من موقعهِ الوزاري في مصر على ترسيخ أقدامهِ لإقامة حكم وراثي مستقل لهُ ولآل أيوب من بعده فاستدعى أبيهِ وأخوتهِ من الشام للوقوف إلى جانبهِ وشد أزره[٤٠]، وفي نفس الوقت كان نور الدين محمود يلحُ على صلاح الدين بقطع الخطبة للعاضد الفاطمي[٤١]، فامتثل صلاح الدين لأمر نور الدين[٤٢] فأعلن بأوَّل جمعة(٧/محرم/٥٦٧هـ/١١٧١م) في القاهرة الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله[٤٣]، وعندما مرت الخطبة بسلام وهدوء وعلى حد قول (ابن الأثير) فلم : ((ينتطح فيها عنزان))[٤٤] أمر صلاح الدين بتعميم هذا الأمر في الجمعة الثانية على جميع خطباء المساجد في القاهرة ومصر[٤٥]، وبهذا أنهى صلاح الدين حكم الخلافة الفاطمية ليُعيد مصر إلى الخلافة العباسية، وجرى هذا الأمر دون علم الخليفة العاضد الذي كان مريضاً وتوفي بعد مرور ثلاثة أيام من إنهاء خلافته[٤٦]، ثم بعث صلاح الدين بالبشارة إلى بغداد دون علم نور الدين محمود الذي غضب منهُ لكونه نائباً عنهُ في مصر[٤٧]، وقد بدأت تظهر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين بعد أن توضحت مطامع صلاح الدين في الاستقلال بمصر، إذ لم يعد ينُفذ أوامر سيدهِ نور الدين وإنما اتبع المماطلة والمراوغة[٤٨].

- **المرحلة الثالثة :**

القضاء على الاضطرابات الداخلية في مصر، إذ ثار على صلاح الدين السودان محاولة منهم لإعادة الخلافة الفاطمية فحاربهم صلاح الدين وظفر بهم وقتل منهم خلقاً عظيماً[٤٩]، وكانت آخر محاولة قادها رجل من قادة الفاطميين يدعى الكنز سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) فأنزل به صلاح الدين هزيمة ساحقة وبأصحابهِ

ولم تقم لهم بعدها قائمة[٥٠].

- **المرحلة الرابعة :**

قيام الدولة الأيوبية في مصر بعد وفاة نور الدين محمود سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)[٥١] وتعد مدة الخمس سنوات التي سبقت وفاة الأخير هي مدة تأسيس وإنشاء وتثبيت لهذهِ الدولة لتبعية صلاح الدين الشرعية لسلطة سيده نور الدين، وقد أرسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله الخلع وشارات السلطنة إلى صلاح الدين اعترافاً منه بشرعية هذهِ الدولة[٥٢].

- **المرحلة الخامسة :**

توجه السلطان صلاح الدين فعلياً لضم بلاد الشام إلى مصر لإتمام الوحدة قبل مواجهة الإفرنج لاسيَّما بعد وفاة عموري الأول ملك بيت المقدس سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م)[٥٣]، وقد استغرقت عملية التوحيد إحدى عشرة سنة من سنة (٥٧٠_٥٨١هـ/١١٧٤_١١٨٥م)، وفي هذه المدة ضم السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى مملكته أراضي الجزيرة الفراتية[٥٤]، ثم حاصر حلب عدة مرات إلى أن تسلمها مع قلاعها المجاورة من عماد الدين زنكي الثاني سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)[٥٥]، فنصب السلطان صلاح الدين أبنهُ الظاهر غازي حاكماً عليها[٥٦]، وبذلك أنهى صلاح الدين نفوذ آل زنكي من دمشق وحلب إلا أنه استمر في الموصل التي قاومتهُ بشدة بعد أن حاصرها ثلاث مرات وانتهى حصارها بعقد صاحبها عز الدين مسعود الصُلح مع صلاح الدين سنة (٥٨١هـ/١١٨٦م)[٥٧]، فرضي مسعود أن يكون تابعاً للسلطان صلاح الدين شرط بقاء الموصل بيد الزنكيين مقابل تقديمهم المساعدة لصلاح الدين كلما طُلب منهُ ذلك، فجرت الخطبة باسم صلاح الدين في جميع بلاد الموصل كما وخُطب له في ديار بكر وجميع البلاد الأرتقية٥٨ وضربت السكة باسمه[٥٩].

- **المرحلة السادسة :**

هيأت هذهِ الكتلة الموحدة والمتراصة نفسها والممتدة من العراق شرقاً إلى مصر غرباً[٦٠]، لتنطلق الجيوش بعد سنتين من توحيدها بقيادة السلطان صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس من الفرنجة الصليبيين، فألحق بهم الجيش الإسلامي الهزيمة في حطين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)[٦١]، بعد أن تفرقت كلمة الصليبيين وتشتت شملهم قبل المعركة بسبب صراعهم على عرش بيت المقدس عقب وفاة بلدوين الخامس، وكان ذلك من أسباب نصرة الإسلام[٦٢]، كما توالت انتصارات صلاح الدين في فتح العديد من المدن والقلاع والحصون الساحلية والجنوبية في بلاد الشام[٦٣]، فكما قال (ابن واصل) : (وهذهِ الوقعة كانت مفتاح الفتوح الإسلامية)[٦٤]، إلا أَنَّ ذلك لا يعني أنهُ أنهى الوجود الصليبي من الساحة العربية فقد بقيت بأيديهم طرابلس وإنطاكية[٦٥] وأهم مدنهم صور الحصينة ذات الأسوار المنيعة على الشاطئ اللبناني[٦٦] التي تحولت بعد تجمع الإفرنج فيها إلى قاعدة قوية للغرب الأوربي[٦٧] الذي سارع إلى تلبية طلب النجدة الصليبية في

صور[٦٨]، لاسترداد ما حررهُ صلاح الدين فأعدت الحملة الصليبية الثالثة سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) التي تعد من أضخم الحملات التي شارك فيها أقوى ملوك غرب أوربا[٦٩]، واتجهت نحو حصار عكا[٧٠] الذي دام مدة سنتين ثم دخول الإفرنج فيها بعد استسلام أهلها سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م)[٧١] فانتهت الحملة الصليبية بعقد صُلح الرملة سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) ومدته ثلاث سنوات وثمانية أشهر[٧٢]، ومن شروطه أن تكون المنطقة الساحلية من يافا إلى عكا إلى صور وطرابلس وإنطاكية من أملاك الإفرنج[٧٣]، والسماح للإفرنج بزيارة بيت المقدس الذي بقى بيد المسلمين، وبذلك انتهت الحملة الصليبية بالفشل في تحقيق هدفها في استرداد بيت المقدس[٧٤].

المبحث الرابع

الأيوبيون بعد صلاح الدين

في سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣) توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي في دمشق وكان في السابعة والخمسين من عمره[٧٥]، وقد ترك دولة مترامية الأطراف تشمل ؛ مصر، وبلاد الشام، والحجاز، واليمن كما ضمت دولتهُ بلاد النوبة[٧٦] والسودان والكثير من مدن الجزيرة الفراتية، كما ضم قسم من شمالي أفريقيا مثل ؛ طرابلس، وتونس، ومدينة قابس[٧٧]، وقد ترك السلطان صلاح الدين بموته فراغاً سياسياً كبيراً لم يستطع أحدّ من أبنائه السبعة عشر وكذلك إخوته من ملئه[٧٨]، فمنذُ وفاة صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م) وحتى وفاة آخر سلطان أيوبي بمصر سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، لم يكن تاريخ الأيوبيين على حد قول أحد المؤرخين المحدثين سوى قصةٍ طفحت بما وقع من المؤامرات والحروب بين أمراء الأسرة الأيوبية فكلّ منهم كان يطمع في أن يكون نصيبهّ يساوي نصيب جاره أو يفوقه[٧٩]، بالرغم من تصديهم للحملات الصليبية اللاحقة التي توجهت لاحتلال مصر بشكل خاص[٨٠]، فقد استأثر أبناء صلاح الدين بالنصيب الأكبر من دولته كما جاء في وصيته التي أعلنها سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) فتولى العزيز عثمان حكم مصر، والأفضل نور الدين على حكم دمشق، أما الظاهر غازي فقد تولى حكم حلب منذ سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦) [٨١]، أما بقية أبناء صلاح الدين وأخوتهِ وأقاربهِ فقد حصلوا على أقطاعات ثانوية صغيرة تابعة لسلطة هؤلاء الثلاثة[٨٢]، وممن تأثر بهذا التقسيم الملك العادل أخو صلاح الدين وأقوى شخصية في البيت الأيوبي بعد أخيه صلاح الدين[٨٣]، وكان لهُ دورٌ في النزاع الذي نشب بين ولدي أخيه صلاح الدين؛ الأفضل، والعزيز[٨٤] من أجل تقوية مركزه، وبوفاة العزيز عثمان سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) صار العادل سلطانا على مصر سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م)[٨٥].

وفي سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٨) حصل على الخلع العظيمة والتقليد من الخليفة العباسي الناصر لدين الله لحكم جميع بلاد الشام ومصر والمماليك بالشرق[٨٦]، وقد عاصر الملك العادل الحملة الصليبية الرابعة (٥٩٩_٦٠١هـ/١٢٠٢_١٢٠٤) التي كانت متوجهة في الأصل نحو مصر لاحتلالها إلا أَنّ بلادهُ نجت منها، لأنها انحرفت عن طريقها وتوجهت لاحتلال القسطنطينية[٨٧]، ولكن مصر لم تنجُ من الحملة الصليبية الخامسة التي نجحت في احتلال دمياط سنة (٦١٥هـ/١٢١٩)[٨٨] فتمكن الكامل محمد بن العادل بمساعدة إخوته من مواجهة الإفرنج وتحرير دمياط سنة (٦١٧هـ/١٢٢١م)[٨٩]، الذي تولى الحكم على مصر بعد وفاة أبيه العادل طيلة عشرين سنة (٦١٥_٦٣٦هـ/١٢١٨_١٢٣٨م)، وعقب انسحاب الحملة الصليبية عاد الأمراء الأيوبيين

إلى الانشغال في المنازعات الداخلية لتحقيق مطامع إقليمية[٩٠]، لاسيَّما النزاع الذي حدث بين المعظم صاحب دمشق وأخيه الملك الكامل مما دفع الأخير إلى تسليم بيت المقدس صُلحا إلى الإمبراطور فردريك الثاني بموجب شروط اتفاقية يافا سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) والتي مدتها عشر سنوات[٩١]، فكان هذا أسلوب جديد في تاريخ العلاقات الإسلامية الصليبية فاستعظم المسلمون ذلك وأكبروه، ووجدوا منهُ الوهن والتألم مما لم يمكن وصفه[٩٢]، كما خرج الكامل لمحاربة المغول التتار عندما هدد خطرهم الخلافة العباسية وأملاك الأيوبيين في شمالي سوريا[٩٣]، وقد خلفهُ ابنه الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) في حكم مصر بعد أن قضى على التحالف الإفرنجي الأيوبي واعتراف أمراء الشام بسلطتهِ [٩٤]، وقد استرد الصالح بيت المقدس وغزة والسواحل بعد تحالفه مع الخوارزمية، وهزيمة عسكر دمشق وحمص المتحالف مع الأفرنجة بظاهر غزة سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، وكان هذا النصر دافعاً للحملة الصليبية السابعة ضد مصر بدلاً من بيت المقدس لأن الصليبيين أصبحوا أكثر إدراكاً بأن العقبة التي تعيق وجودهم في الشرق هي مصر وليست بيت المقدس، وبمعنى آخر لكي يُحكموا قبضتهم على بيت المقدس يجب أن تكون مصر تحت سيطرتهم[٩٥]، وفي هذهِ الأثناء كان الصالح أيوب مريضاً[٩٦] عند قدوم الحملة التي احتلت دمياط بسهولة[٩٧]، واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهراً وقد توفي سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) والحربُ قائمة[٩٨] فتولت زوجتهُ شجر الدر مسؤولية الدفاع عن مصر بمساندة جهود المماليك البحرية الصالحية لها الذين كانوا سبباً في نصرة المسلمين[٩٩]، وقد أخفت شجر الدر خبر وفاة زوجها الصالح وأسرعت إلى استدعاء ابنهِ توران شاه من حصن كيفا وهو آخر السلاطين الأيوبيين ـ وبعد وصوله إلى مصر سلمتهُ شجر الدر مقاليد الحكم، فأعد خطة عسكرية كفلت لهُ النصر النهائي على الصليبيين ووقوع الإمبراطور لويس التاسع في الأسر، بفضل جهود المماليك[١٠٠]، لكن حكم توران شاه لم يستمر أكثر من واحد وستين يوماً، إذ استوحش من مماليك أبيه، واستوحشوا منهُ، فتعصبوا عليه وقتلوه سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)[١٠١]، وبمقتله انتهت دولة بني أيوب من مصر بعد أن دام حكمهم فيها (٨١)سنة من سنة (٥٦٧ـ٦٤٨هـ/١١٧١ـ١٢٥٠م) لتحل محلها دولة المماليك البحرية[١٠٢]، تلك الدولة التي قُدر لها أن تقهر المغول في عين جالوت، كما تم على أيديهم إجلاء الصليبيين نهائياً عن الأراضي المقدسة[١٠٣].

الخاتمة

أظهر البحث عن دراسة حياة الدولة الأيوبية منذ قيامها حتى نهاية عهدها جملة من النتائج الآتية:

- هناك عوامل سبقت قيام الدولة الايوبية كان لها الأثر المباشر في نشؤها، أَلاَ وهي الحروب الصليبية التي احتلت أراضي بلاد الشام، بل وتهديدها المستمر على مصر والحجاز، كما أَنَّ تناقض السلطات التي حكمت المجتمع العربي في تلك الفترة المتصارعة حول السلطة قد أدى إلى ضياع وحدة الأمة الإسلامية التي أصابها الضعف والتشتت .

- لم تكن الدولة الأيوبية هي السابقة للعمليات الجهادية ضد الصليبيين بل ترجع الجذور الأُولى في قيادة حركة الجهاد إلى عماد الدين زنكي ثم خلفه ابنه نور الدين محمود في حمل الأمانة عن أبيه في توحيد الجبهة الإسلامية من الفرات الى النيل .

- لم تقم الدولة الأيوبية في ليلةٍ وضُحاها إِنَّما مرت بعدة مراحل انتقالية حتى تمَّ لها التثبيت والتوسع، بدءاً من صحبة صلاح الدين الأيوبي لعمه أسد الدين شيركوه في الحملة التي قادها لإنقاذ مصر من الصليبيين، ثم تولي صلاح الدين الوزارة في مصر بعد وفاة عمه شيركوه ونائباً عن نور الدين محمود، ومن بعدها إنهاء حكم الخلافة الفاطمية ليعيد مصر إلى الخلافة العباسية، وبعد وفاة نور الدين محمود أصبح صلاح الدين سلطاناً على مصر بأمر من الخليفة العباسي الناصر لدين الله .

- حقق السلطان صلاح الدين كتلة موحدة بعد ضم بلاد الشام ومعظم أَراضي الجزيرة الفراتية إِلى مصر لينطلق بالجيوش لاسترداد بيت المقدس من الصليبيين الذين لحق بهم الهزيمة في حطين سنة (٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م) كما توالت انتصاراته في فتح العديد من المدن والقلاع والحصون الساحلية والجنوبية في بلاد الشام .

- أَقام السلطان صلاح الدين الأَيوبي دولة مترامية الأَطراف شملت مصر، وبلاد الشام، والحجاز، وبلاد السودان، والكثير من مدن الجزيرة الفراتية، وقسم من شمالي أفريقيا .

- بالرغم مما وقع من المؤامرات والحروب بين أمراء الأُسرة الأيوبية لاسيَّما بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي للاستئثار بالسلطة إِلاَّ أَنَّهم تصدوا للحملات الصليبية اللاحقة التي توجهت لاحتلال مصر بشكل خاص، فقد عاصر السلطان العادل الأيوبي الحملة الصليبية الرابعة سنة (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م)، وتمكن السلطان الكامل بن محمد العادل بمساندة اخوته من مواجهة الفرنج وتحرير دمياط سنة (٦١٧ هـ / ١٢٢١ م)، كما واجه الملك الصالح نجم الدين أيوب الحملة الصليبية السابعة على مصر مدة أربعة عشر شهراً حتى توفي سنة

(٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م) إلى أَن جاء توران شاه ابن الصالح من حصن كيفا وهو آخر السلاطين الأيوبيين، والذي أَعدَّ خطة عسكرية حقق بها النصر التام على الصليبيين.

هوامش البحث

١- نوري، دريد عبد القادر: سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، مطبعة الإرشاد (بغداد، ١٩٧٦م) ص٤٨.

٢- ابن ألقلانسي، أبو يعلى حمزة (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي (القاهرة، د.ت)، ص ١٣٧؛ الصوري، وليم (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م): تاريخ الحروب الصليبية أو الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج١، ص٤٣٥؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: د. نجيب مصطفى فواز وآخرين، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان) ج٢٨، ص١٦٥.

٣- الخلافة الفاطمية: أو العبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله بن المهدي في المغرب (٢٩٧_٣٦٢هـ/ ٩٠٩_٩٧٣م)، انتقلت إلى مصر في عهد خليفتها المعز لدين الله سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م) بعد أن فشلت في توحيد جميع مناطق المغرب تحت زعامتها، وقد قامت على أساس المذهب الشيعي المناهض للخلافة العباسية السُنية في بغداد، وقد مرت الخلافة الفاطمية في مصر بمرحلتين،مرحلة القوة والتي سيطر فيها على الحكم خمسة من الخلفاء الأقوياء استمرت من سنة (٣٦٢_ ٤٦٨هـ/٥٧٣_١٠٧٥م) ثم تلتها مرحلة الضعف والانحلال للدولة لسيطرة الوزراء على دفة الحكم ابتداءاً من سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م) وانتهاء بسقوط الخلافة الفاطمية سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) وقيام الدولة الأيوبية: ينظر: الأصفهاني، أبي عبد الله محمد بن حامد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): حروب صلاح الدين (الفتح القسي في الفتح القدسي)، ط١، دار المنار (القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص١٢؛ الدويداري، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك (ت٧١٣هـ/ ١٣١٣م): كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية)، تح: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م)، ج٦، ص١٠٨_١١٩_ ١٢٣؛ القرشي، إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م): عيون الأخبار وفنون الآثار، تح: د. مصطفى غالب، ط٢، دار الأندلس (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٦، ص١٨٤

٤- السيد، عبد اللطيف عبد الهادي: دولة الأيوبيين، المكتب الجامعي الحديث (الإسكندرية، ٢٠١٠م)، ج٧، ص٣٠.

٥- السلاجقة: يرجع نسبهم إلى جدهم سلجوق بن دقاق، وهم قبيلة من قبائل الأتراك السنة القادمين من وسط آسيا ظهروا في أوائل القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) واجتاحوا عدداً من المدن تحت قيادة زعيمهم طغرل بك الذي دخل بغداد سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) ووحد العالم الإسلامي من بلاد

فارس إلى آسيا الصغرى والتي ضمها خليفتهُ الب رسلان بعد معركة ملاذكر (٤٦٣هـ/١٠٧١م) وهذا النصر كان أحد أسباب قيام الحروب الصليبية، وبعد وفاتهِ خلفهُ ابنهُ ملكشاه الذي أقام دولة السلاجقة الكبرى امتدت من الصين شرقاَ إلى بحر مرمرة غرباً، إلا أن هذا المجد سرعان ما تداعى إلى السقوط والانهيار خاصة بعد وفاة ملكشاه سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وقيام حالة من الصراع والتنافس بين أبناء البيت السلجوقي كُلٌ يسعى إلى توسيع رقعة مملكته على حساب الآخر: ينظر، الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تح: أبي هاجرة محمد السعيد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج٢، ص٢٨٩؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، ط٢، مكتبة المعارف (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج١١، ص٦٦؛ المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي العبيدي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص١٣٦.

٦- الأصفهاني: الفتح القسي، ص١١؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبدالقادر عطا وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج١٧، ص٥؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٩٦م)، ص١٠.

٧- الاتابك: لفظ تركي ومعناه اصطلاحاً مربي الملك او الأمير، أو الوصي على أبناء السلاطين ثم أصبح لقباً تشريفياً يمنح للاتابك الذي يكون أكبر الأمراء المتقدمين ومن القادة البارزين فهو قائد الجيوش ونائب السلطنة، فكان آل سلجوق يمنحون هذا اللقب لِمَن أرادوا تشريفه إمعانا في تكريمه، وكان الوزير نظام الملك اول من حصل على لقب أتابك من السلطان السلجوقي ملكشاه وبسبب وفاة الأخير وتجزأ إمبراطوريته الشاسعة بين الأبناء والأقارب دب الضعف في سلطنة السلاجقة، فاستطاع بعض الاتابكة الوصول إلى مناصب رفيعة وتأسيس دول وأمارات خاصة ومستقلة بهم عرفت بالاتابكيات: ينظر: الاصفهاني، الفتح القسي، ص١١؛ الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن (ت ٧٤١ه / ١٣٤٠م): عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: د. عبدالرحيم عبدالرحمن، دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٩٩٧م)، ج١، ص٢٩، عاشور، مصر والشام، ص١٠.

٨- عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١٠.

٩- ظهير الدين طغتكين: استولى على السلطة في دمشق بعد وفاة سيدهُ دقاق بن تتش بن ألب ارسلان، وقد تزعم طغتكين الصحوة الإسلامية في دمشق بعد أن أصبحت قاعدة لتحريك المواجهة العسكرية بتحالفه مع الوزراء الفاطميين وأمير الموصل شرف الدين مودود لقتال العدو الصليبي، وسميت بالدولة

البورية نسبة إلى تاج الملوك بوري بن طغتكين: ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٤؛ سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزا وغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد (الهند، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، ج١، ص٤٢؛ عاصي، حسين: المقريزي، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٢٨.

١٠- عماد الدين زنكي: يرجع أصله إلى اسرة تركية، فأبوه قسيم الدولة آقسنقر ويعرف بالحاجب، وهو جد البيت الاتابكي بالموصل إذ تولى ولايتها ثم ولاية حلب زمن السلطان السلجوقي ملكشاه، وقد قتل في أحدى المعارك سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، وكان عماد الدين يبلغ من العمر عشرة أعوام، وتلقى العناية والرعاية من مماليك أبيه ووالي الموصل كربوغا، فظهرت فروسيتهُ في سن مبكرة وذاع صيتهُ عندما اشترك في قتال الصليبيين عند طبرية سنة (٥٠٦هـ/ ١١١٢م) فأظهر بسالة وشجاعة في القتال، لذا كافأه السلطان محمود السلجوقي بإقطاعه البصرة وواسط ثم صار أتابكاً لاثنين من أبناء السلطان وأميراً على الموصل والجزيرة عام (٥٢١هـ/ ١١٢٧م) ثم دخل حلب سنة (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) فأنشأ أتابكية الموصل وحلب ليبدأ عهده في إقامة أمارة مستقلة وبعيدة عن أملاك السلاجقة، جاهد الإفرنج وطردهم من الأراضي العربية: ينظر: ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): التاريخ الباهر في الدولة الاتابكيه بالموصل، تح: عبدالقادر احمد طليحات، دار الكتب الحديثة، (القاهرة، د.ت) ج١٥، ص٣٢_٤٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١، ص٤٢؛ ابو بدر شاكر احمد: الحروب الصليبية والأُسرة الزنكية، طبع في الجامعة اللبنانية (كلية الآداب، قسم الدراسات)، ص٤٥؛ السرجاني، قصة الحروب الصليبية، ص٣٤٩.

١١- شبارو، عصام محمد: السلاطين في المشرق العربي، معالم دورهم السياسي والعسكري (السلاجقة ـ الأيوبيون) دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٩٤م)، ص١١٥.

١٢- هناك عمليات جهادية أخرى قادها قادة من السلاجقة وفي مقدمتهم أتابكة الموصل للجهاد ضد الأفرنج منذ سنة (٤٩١هـ/ ١٠٩٧م) ومنهم كربوغا وجكرمش وشرف الدولة مودو وآقسنقر الرسقي أمراء الموصل، وكلن لمودود وآقسنقر مكانة في تاريخ الجهاد ضد الصليبيين، كما كان للأمراء الاراتقة دورٌ في الجهاد ومنهم سقمان بن أرتق وأبلغازي، وكان لطغتكين صاحب دمشق دورٌ في مواجهة الصليبيين للدفاع عن أمارته وغيرها من بلاد الشام أكثر من مرة: ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ج٩، ص٧٣؛ ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: سامي الدهان، المعهد الفرنسي (دمشق، د.ت)، ج٢، ص٢٢٧؛ الحريري، محمود محمد: بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، ط١، دار المعارف (القاهرة،

١٩٩٢م)، ص٦٤.

١٣- الجزيرة الفراتية: تعرف بهذا الاسم لانها بين نهري دجلة والفرات إذ يحدها نهر دجلة من الشرق عند مدينة تكريت ونهر الفرات يحدها من الغرب عند مدينة الفلوجة وهذهِ حدودها الجنوبية والجزيرة الفراتية في منطقة الشمال من العراق يحدها في أقصى الشمال عند منطقة دروب في سلاسل جبال طوروس، أما عن كيانها السياسي فتتكون من مجموعة أمارات محلية وأمارات مدن كثيرة ومختلفة يحكمها الاراتقة والأتابكة وقد خضعت أقاليم الجزيرة إلى السيطرة الأيوبية إلا أنَّ سيطرتهم على هذه الإمارات لم تكن حدودها ثابتة بل قابلة للتوسع والانكماش بسبب الحروب المستمرة بينهم وبين بني أيوب أو بين الصليبيين أو صراع أمارات الجزيرة فيما بينها: ينظر: ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٧٥م) ج٢، ص١٣٤؛ سوادي، عبد محمد: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، ط١، دار الشؤون الثقافية (بغداد، ١٩٨٩م)، ص٣٧، ٣٦٨.

١٤ ()وقد وصفه (الصوري) بقولهُ: ((كان زنكي رجلاً بارعاً ومتمرساً في الحرب ... و ... أقسى مضطهدي المسيحيين)): ينظر: تاريخ الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٨٦_٦٨٧.

١٥- عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١٠.

١٦- ابن الاثير، تاريخ الباهر، ص٧٤؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم محمد عزب، وآخرين، دار المعارف (القاهرة، د.ت) .

١٧- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص١٤٦.

١٨- عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١١

١٩- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٠٠؛ الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة، ج١، ص٧٧٧_٧٧٨ .

٢٠- وصف (الصوري) نور الدين محمود بقوله: ((كان رجلاً حكيماً وعاقلاً،... وكان محظوظاً أيضاً في انهُ وسّع كثيراً الميراث الذي خلفهُ والدهُ لهُ)): ينظر: تاريخ الأعمال المنجزة، ج٢، ص٧٤٢.

٢١- الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة، ج٢، ص٨١٥؛ ابن الأَثير، التاريخ الباهر، ص١٠٦؛ أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م): عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: أحمد البيومي، وزارة الثقافة (دمشق، ١٩٩٢م)، ج١، ص٢٣٦.

٢٢- الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة، ج٢، ص٨٨٤؛ قلعجي، قدري: صلاح الدين الأيوبي (قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين ١٢ و١٣ الميلادي) ط٥، دار الكاتب العربي (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج١، ص١٦٢؛ لامب، هارولد: شعلة الإسلام (قصة الحروب الصليبية) ترجمة: محمود عبد الله يعقوب، مكتبة المثنى (بغداد، ١٩٦٧م)، ص٥١

٢٣- عاشور: الناصر صلاح الدين، المؤسسة المصرية العامة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م)، ص٦٥؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٥١.

٢٤- السيد، دول الأيوبيين، ج٧، ص٣٧.

٢٥- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسين، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢)، ج٥، ص٣٣٠.

٢٦- طقوش، محمد سهيل: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام والجزيرة، ط١، دار النفائس (بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١٤.

٢٧- صلاح الدين بن أيوب بن شادي بن مروان اتفقت المصادر التاريخية على أن الأسرة الأيوبية هي كردية الأصل من الأحرار، من بلدة دوين الواقعة في آخر حدود أذربيجان من جهة إيران، وأصلهم من الأكراد الروادية وهذا القبيل من أشرف الأكراد لأنهم لم يجر على أحدٍ منهم رقٍ أبداً، وفي بداية القرن (السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي) انتقلت الأسرة الأيوبية من دوين إلى منطقة تكريت شمالي سامراء فأصبح شادي بن مروان حاكماً عليها بأمر من شحنة بغداد مجاهد الدين بهروز لصداقة بينهما وبعد وفاة شادي خلفهُ نجم الدين أيوب بتسليم قلعة تكريت، وقد أسدى الأخير خدمة لعماد الدين زنكي عندما انهزم من قوات الخليفة العباسي المسترشد بالله سنة (٥٢٦هـ/١١٣٢م)، وشاءت الظروف أن بهروز أمر نجم الدين أيوب بتسليم قلعة تكريت ومغادرتها سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٨م) في نفس اليوم الذي ولد فيه صلاح الدين الأيوبي، فتوجه نجم الدين مع أخيه اسد الدين شيركوه نحو الموصل فأحسن عماد الدين زنكي استقبالهما وإكرامهما فخدما في جيشه بإخلاص وشجاعة زادت من حب زنكي لهما، وعندما فتح الأخير بعلبك سنة (٥٣٣هـ / ١١٣٩م) عين نجم الدين أيوب والياً عليها، فنشأ بها صلاح الدين على تعلم القرآن الكريم واللغة العربية والحديث والفقه كما بَرع في فنون الفروسية والصيد ولعب الكرة مما أثار أعجاب نور الدين بن عماد الزنكي فولاه قيادة الجيش الدمشقي مرتين الأولى سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م) والثانية (٥٥٥هـ/١١٦٠م) ولمعت شخصية صلاح الدين وهو في الخامسة والعشرين من عمره عندما صحب عمه أسد الدين شيركوه ـ الذي أصبح أكبر أمراء نور الدين ومقدم جيوشه وعساكره ـ في حملاته على مصر: ينظر: ابن الأثير، الباهر، ص١١٩؛ ابن أيوب، تاج الدين شاهنشاه: سيرة صلاح الدين الأيوبي للقاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، ط١، دار المنار (القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٤؛ ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس دار صادر (بيروت، د.ت)، ج٧، ص١٣٩.

٢٨- أسد الدين شيركوه: كان جنديا فذاً عبقرياً وكان أحد الأبطال يُضرب به المثل لشجاعته وكان الإفرنج

يهابونه، فيصف (ابن شداد) عزم وغيرة شيركوه و إصراره لإضافة مصر إلى مملكة سيده نور الدين لأداركه بأن تملكها يُعد تمهيداً ضرورياً لاستعادة بيت المقدس: ينظر: ابن أيوب، سيرة صلاح الدين، ص٤؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن عماد (ت١٠٨٩هـ/١٧٧٥م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، دار الميسرة (بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ج٤، ص٢١١.

٢٩- أبن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٣٧؛ النويري، نهاية الإرب، ج٢٨، ص٢٢٥.

٣٠- الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة، ج٢، ص٩٣٤؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٤٢.

٣١- ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٣٨؛ التاريخ الباهر، ص١٣٩ .

٣٢- أبو شامة، عيون الروضتين، ج١، ص٢٩١؛ الدويداري، كنز الدرر، ج٧، ص٣٩؛ الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٢٥.

٣٣- الخليفة العاضد: هو آخر الخلفاء الفاطميين في مصر . ينظر: ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تح: مصطفى السقا، وآخرين، (دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص٤٢.

٣٤- ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ص٥٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٣١.

٣٥- ابن أيوب، سيرة صلاح الدين، ص٢٦؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٤٢؛ الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٢٥.

٣٦- أبو شامة، عيون الروضتين، ج١، ص٩١؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص١٥٠.

٣٧- ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٤٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص٢١١؛ قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، ج١، ص٢٠٠.

٣٨- الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٢٥؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٥٣.

٣٩- ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٣٢٩؛ اليوسف، عبدالقادر أحمد: علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلادي، المكتبة العصرية (بيروت، ١٩٦٩م)، ص١٣٠.

٤٠- أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٢٩٩؛ ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن آهردن الطبيب المالطي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تح: الأدب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني (بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص٣٧١.

٤١- ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٣٣٣؛ عاشور، الناصر صلاح الدين، ص٩٤.

٤٢- الذهبي، العبر، ج٣، ص٤٩؛ ابن العماد الحنبلي ،شذرات الذهب ،ج٤، ص٢١٩؛ حمود، سوزي: الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي،ط١،دار النهضة العربية(بيروت،١٤٣١ه/٢٠١٠م)،ص٥١ .

٤٣- ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٥٦، الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٢٥.

٤٤- الكامل، ج١١، ص٣٦٩.

٤٥- أبو شامة، عيون الروضتين، ج١، ص٣١٢؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٧٤؛ شبلي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٤، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٧٩م)، ج٥، ص١٧١.

٤٦- ابن أيوب، سيرة صلاح الدين، ص٢٨؛ أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٣١٢؛ ابن كثير، البداية، ج١١، ص٢٦٤.

٤٧- أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٢٩٣؛ ابن العبري، مختصر الدول، ص٣٧٠.

٤٨- ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٥٨؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص١٥٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٢٠

٤٩- أبو شامة، عيون الروضتين، ج٢، ص٥؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٤٢.

٥٠- أيـن أيـوب، سيـرة صـلاح الـديـن، ص٢١٥ـ٢١٧؛ ابـن واصـل، جـمـال الـديـن محمد بـن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية (القاهرة، ١٩٥٧م) ج٢، ص١٧، الدويداري، كنز الدرر، ج٧، ص٤٤.

٥١- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (٧٤٦هـ/١٣٤٥م): دول الإسلام، مؤسسة الاعلمي (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٢٩٩.

٥٢- الذهبي، العبر، ج٣، ص٧٠؛ عاشور، الناصر صلاح الدين، ص١١٨؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٦٨.

٥٣- أبو شامة، عيون الروضتين، ج٢، ص٦.

٥٤- مثل الرقة ونصيبين والرُّها وسنجار وحران وآمد وغيرها:ينظر: الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة، ج٢، ص١٠٤٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٥٥.

٥٥- ابن أيوب، سيرة صلاح الدين الأيوبي، ص٣٨ـ٣٩؛ ابن العبري، مختصر، ص٣٨١.

٥٦- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٤١ـ١٤٧؛ حمود، الفاطميون والزنكيون، ص٥٣.

٥٧ ()ابن أيوب، سيرة صلاح الدين الأيوبي، ص٤٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٦٣ـ١٧٢.

٥٨- البلاد الأرتقية: نسبة إلى الاراتقة وهي إحدى الأتابكيات الإسلامية والمحلية التي حكمت معظم أراضي الجزيرة الفراتية، وينتمي الأراتقة إلى أرتق بن أكْسَبْ، واستمرت هذه العائلة في حكمها حتى مطلع القرن (التاسع الهجري / الخامس عشر الميلاي). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٩١؛ سوادي، الأحوال الاجتماعية، ص٣٦٧.

٥٩- الدويداري، كنز الدرر، ج٧، ص٨٠.

٦٠- نوري، عبد القادر: سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر و الشام والجزيرة، المكتبة الوطنية (بغداد، ١٩٧٦م)، ص٢٨٦.

٦١- الأصفهاني، الفتح القسي، ص٥٠؛ ابن أيوب، سيرة صلاح الدين، ص٣٩؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٢٣.

٦٢- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٨٥؛ الشامي، أحمد: صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، ط١، مكتبة النهضة العربية (القاهرة، ١٩٩١م)، ص١١٩.

٦٣- الأصفهاني، الفتح القسي، ص٥٣ـ٦٤؛ ابن أيوب، سيرة صلاح الدين الأيوبي، ص٥٦ ـ ٦٤؛ الفقي، عصام عبدالرؤوف: بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)، ص١٨٦.

٦٤- مفرج الكروب، ج٢، ص١٨٨.

٦٥- أبو شامة، عيون الروضتين، ج٢، ص١٩٧، السيد، دولة الأيوبيين، ج٧، ص١٥٨؛ لامب، شعلة الإسلام، ص١٥٠.

٦٦- المقريزي، السلوك، ج١، ص٢١١؛ السيد، دولة الأيوبيين، ج٧، ص١٥٠.

٦٧- اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص١٤٣.

٦٨- النويري، نهاية الأرب . ج٢٨، ص٢٧٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٢١٥

٦٩- أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٤٨ـ٢٥٩؛ حسن، صفوان طه: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط١، دار الفكر (عمان، ٢٠١٠م)، ص٧٤ ـ ٨٤.

٧٠- ابن أيوب، سيرة صلاح الدين، ص٢٣٨ ـ ٢٤١؛ الدويداوي، كنز الدرر، ج٧، ص٩٨ .

٧١- الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٣٤٤؛ الحسن، عيسى: تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط١، مكتبة الأهلية (عمان، ٢٠٠٨م)، ص٢٨٤.

٧٢- الأصفهاني، الفتح القسي، ص٣١٦؛ ابن أَيوب، سيرة صلاح الدين، ص٢٤٤ـ٢٤٥؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٨٨.

٧٣- المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٢٤.

٧٤- الحسن، تاريخ العرب، ص٢٨٥ـ٢٨٦؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٢٨٧.

٧٥- ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٢٢٧؛ الذهبي، دول الإسلام، ص ٣١٣.

(٧٦) بلاد النوبة: هي أراضي واسعة تقع جنوبي مصر ،وواقعة في شرقي النيل وغربه وأهلها أمة عظيمة من النصارى بعامتهم .ينظر: القزويني، زكريا بن محمد (ت٦٨٢/٥١٢٨٣م):آثـار البلاد وأخبار العباد، دار صادر(بيروت ،د، ت)،ص٢٤.

٧٦ (٧٧) حسين، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٩٤

٧٧ (٧٨) الدويداري، كنز الدرر، ج٧، ص٨٣؛ الصلابي، علي محمد: الأيوبيين بعد صلاح الدين (دار ابن الجوزي، القاهرة)، ص١٥.

٧٨

٧٩- العريني، السيد الباز: الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون)، دار النهضة العربية، ج١، ص١١٥.

٨٠- طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص٢٢٩.

٨١- الأصفهاني، الفتح القسي، ص٣٢٨ ـ٣٣٠؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص٣٨٩.

٨٢- حمود، الفاطميون والزنكيون، ص٦٠.

٨٣- السيد، دولة الأيوبيين، ص١٣١؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٣٠٤.

٨٤- الصلابي، الأيوبيين بعد صلاح الدين، ص٢٠.

٨٥- الدويداري، كنز الدرر، ج٧، ص١٤١؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص١١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص١٤٤.

٨٦- وهي البلاد الشرقية التي تمثل الرُها وما معها من حران وغيرها: ينظر، المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٨٤.

٨٧- عرض البنادقة بتحريف الحملة عن مصر وتوجهها إلى القسطنطينية وذلك بعد أن عقدوا معاهدة تجارية مجزية مع الملك العادل الأيوبي والسلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى: ينظر: العريني، الشرق الأدنى، ج١، ص١١٧؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٣٩٨ـ٣٩٩.

٨٨- المقريزي، السلوك، ج١، ص٣١٠؛ ابن تغري بردي، ج٦، ص١٩٦؛ السيد، دولة الأيوبيين، ص٢١٧؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٤٠٩.

٨٩- الدويداري، كنز الدرر، ج٧، ص٢١٠، دعكور، عرب حسين: تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم، ط١، دار النهضة العربية (بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص٢٣١؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٤١٨.

٩٠- دعكور، تاريخ الفاطميين، ص٢٣١.

٩١- دعكور، تاريخ الفاطميين والزنكيين، ص٢٣٩.

٩٢- ابن الاثير، الكامل، ج١٢، ص٤٨٢ـ٤٨٣.

٩٣- لامب، شعلة الإسلام، ص٤٦٥.

٩٤- المقريزي، السلوك، ج١٠، ص٣٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٠٠.

٩٥- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٥٥؛ الحسن، عيسى، تاريخ العرب، ص٢٨٨.

٩٦- الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٥٦.

٩٧- المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٩٣؛ لامب، شعلة الإسلام، ص٤٨٨.

٩٨- الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٢٦.

٩٩- الدويداوي، كنز الدرر، ج٧، ص٣٧٦؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٥٧.

١٠٠- ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر،ج٣،ص٢١٧؛المقريزي،السلوك،ج١،ص٤٤٩.

١٠١- الدويداري، كنز الدرر . ج٧، ص٣٧٧؛ ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢١٠.

١٠٢- أبو الفدا، المختصر، ج٣، ص٢١٩؛ الجبرتي، عجائب الآثار، ج١،ص٢٦.

١٠٣- أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٤٧؛ أبو الفدا، المختصر، ج٣، ص٢٢٠؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٥٧؛ اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٠٣.